دار الحديث العراقية

تفسير

سورة الانفطار

الشيخ الدكتور
ماهر بن ياسين الفحل
غفر الله له ولوالديه ولمشايخه وللمسلمين

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدُ لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على نبينا محمد ، وعلى آله وصحبه ومن تبعه بإحسان إلى يوم الدين اللهم إنَّا نسألك رحمتك فهي خيرٌ مما يجمعون .

أما بعد :

موعدُنا اليوم مع تفسير سورة ((إِذَا ٱلسَّمَاءُ ٱنفَطَرَتْ)) بهذا سّماها البخاريُّ في صحيحه ، وكذا في بعض المصاحف ، وكذا جاء في حديث ابْنِ عُمَرَ يَقُولُ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَنْظُرَ إِلَى يَوْمِ القِيَامَةِ كَأَنَّهُ رَأْيُ عَيْنٍ فَلْيَقْرَأْ : إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ ، وَإِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ، وَإِذَا السَّمَاءُ انْشَقَّتْ)) ، وكذا سيأتي في رواية النسائي التسمية وهو من باب تسمية السورة بإحدى آياتها .

وتسمى بـ((الانفطار)) كما هو في أغلب المصاحب وكتب التفسير .

وهي مكية عدد آياتها تسع عشرة . عدد كلماتها: مائة كلمة.

عدد حروفها: ثلاثمائة وتسعة عشر حرفاً

أما مناسبتها لما قبلها فهذه السورة الكريمة، هى على شاكلة سابقتها «إذا الشمس كورت» .. كل منهما حديث عن يوم القيامة وبداياته.. فكان جمعهما فى هذا السياق من جمع النظير إلى نظيره ، والمثل إلى مثله ليرسخ الأمر فى الأذهان..

وهي مما يستحب قرائته في الإمامة في الصلوات الجهرية كما قَالَ النَّسَائِيُّ: أَخْبَرَنَا مُحَمَّدُ بْنُ قَدَامَةَ، حَدَّثَنَا جَرِيرٌ عَنِ الْأَعْمَشِ، عَنْ مُحَارِبِ بْنِ دِثَار، عَنْ جَابِرٍ قَالَ: قَامَ مُعَاذٌ فَصَلَّى الْعِشَاءَ الْآخِرَةَ فَطَوَّلَ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "أَفَتَّانٌ يَا مُعَاذُ؟! [أَفَتَّانٌ يَا مُعَاذُ؟!] أَيْنَ كُنْتَ عَنْ سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى، وَالضُّحَى، وَإِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ؟! " .

والسورة بليغة جداً وجميع السور بليغة بليغةٌ آياتها ، لكن البلاغة هنا جاءت من وجه ، وهو الاطناب فـ(إذا) ظرف لما يستقبل من الزمن ، وقد تكرر فكان إطناباً ؛ لأنَّه لا يمكن أن يكتفى بأداة واحدة لمطلع السورة فكان التكرار من البلاغة فهو يشعر المتدبر أنَّ كلَّ حدث خبرٌ مستقلٌ

له هيبتُهُ ووقعه وتأثيره ، وكل حدث جدير بالاهتمام والعناية والتفكير بما فيه ، وفيه تشويق إذ كان الكلام متسلسلاً بعد أربع آيات مصدرة بـ(إذا) ثم يأتي الجواب بتحصيل حال عمل الإنسان : ((عَلِمَتْ نَفْسٌ ما قدمت وأخرت)) ومن مقاصد البلاغة في هذا الاطناب التخويفُ؛ لأنَّ في السياق ذكرَ حوادث من جلائل الأمور تأتي هائلةً سريعةً ، وكأنَّها مشاهدُ متلاحقةٌ .

وقوله : ((إِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ)) فـ(إذا) ظرفٌ لما يُستقبلُ من الزمن ، والسورةُ لما كانت تتكلم عن أهوال يوم القيامة وابتدأت بانفطار السماء ذلك السقف الذي جعله الله لأهل الأرض جميعاً، وهو منظر الجمال الذي يدل على جلال خالقه ، والمسلم يقرأُ كلَّ ليلةٍ سورةَ الملك ، وفيها ذكرُ السماء .

فهذا السماءُ العظيمةُ البناء تتغيرُ حالُها يوم القيامة وتنفطر وتنشق وتنكشط .

قال البقاعي : ((أفهم سياق التهويل أنه صار لبابها أطراف كثيرة فزال ما كان لها من الكُريّة الجامعة للهواء الذي الناس فيه كالسمك في الماء ، فكما أن الماء إذا انكشف عن الحيوانات البحرية هلكت ، كذلك يكون الهواء مع الحيوانات البرية ، فلا تكون حياة إلا ببعث جديد ونقل عن هذه الأسباب ، ليكون الحساب بالثواب والعقاب)) .

وقوله تعالى : ((وَإِذَا الْكَوَاكِبُ انْتَثَرَت)) فالمرادُ بالكواكبِ هي النجومُ وهي ذاتُ علاقة بالسماء؛ إذ جعلها الله زينةً للسماء لكنَّها في ذلك اليوم تنخرمُ وتتساقطُ ويتناثر عقدُها ونظامها.

وقوله تعالى : ((وَإِذَا الْبِحَارُ فُجِّرَتْ)) فتفجرُ البحارُ بأنْ يفتح بعضها على بعض وتزولُ الحدودُ وتذهبُ البرازخُ بينها فيتصل بعضُها ببعضٍ وتصبحُ بحراً واحداً إذ تزول اليابسة وتنفجر البحار وتلتهب ناراً حتى تذهب كما دل عليه قوله تعالى : ((وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ)) وقوله تعالى : ((وَالْبَحْرِ الْمَسْجُور)) فالماءُ الذي يُطفيء النار يتحولُ يوم القيامة إلى نار تتلّهب وتتلظى .

وقوله تعالى : ((وَإِذَا الْقُبُورُ بُعْثِرَتْ)) فالأرضُ تخرجُ ما في بطنها ، وتُسوى الأرضُ ، ومعنى (بُعْثِرَتْ) أي : أثيرتْ وفتحتْ وأخرج ما فيها .

وقد افتتح الله سبحانه هذه السورة عن خراب هذا العالم ، لتكون مقدمة ليوم العرض والحساب والجزاء ، وهو يومُ القيامة فذكر منها أمرين علويين هما: انفطار السماء وانتثار الكواكب، وأمرين سفليين هما تفجير البحار وبعثرة القبور. ثم أبان أنه فى ذلك اليوم تتجلى للنفوس أعمالها على حقيقتها.

ثم يأتي الجواب : ((عَلِمَتْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَت)) فحينما تقعُ تلكم الحوادثُ العظيمةُ تعلم كلُّ نفس ما عملت من خير أو شر .

وتأمل السياق (مَا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَت) وسوف تعلمُ كلُّ نفسٍ حينذاك ماذا قدمت من الأعمال وماذا أخرت ، وتعلم العمل ذاته فتذكره إن كانت ناسية وتحيط بما لم تحط به من قبل وتعلم ثوابه وقيمته .

والمرَاد بالتقديم الْمُبَادرَة بِالْعَمَلِ، وَالْمُرَادُ بِالتَّأْخِيرِ مُقَابِلُهُ وَهُوَ تَرْكُ الْعَمَلِ.

وهذه الآيةُ الكريمةُ حاثَّة على العمل الصالح وعدم التفريط به وحاثة على المبادرة وعدم التسويف، وفيها التنبيهُ إلى إيثارِ الآخرة فهي خيرٌ وأبقى وفيها التنبيه على أنَّ التقدمَ والفوز والظفر والفلاح بالعلم والعمل كما قال النبي صلى الله عليه وسلم : ((منْ بَطّأ به عملُهُ لم يسرع به نسبُه)) إذا الأرضُ لا تقدسُ أحداً إنَّما يقدسُ الإنسانَ عملُهُ كما قال سلمان الفارسي .

ثم جاءَ الخطابُ بالتحذير منَ التفريط ؛ إذ الخوف والرجاء قائدان إلى العمل وما لا يبعث على العمل فهو تمنٍّ وغرور فقال تعالى : ((يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ)) والكريمُ هو السيّدُ العظيمُ المطاعُ الذي لا ينبغي الاغترار به ولا إهمالُ حقِّه .

قال ابن عاشور : ((اسْتِئْنَافٌ ابْتِدَائِيٌّ لِأَنَّ مَا قَبْلَهُ بِمَنْزِلَةِ الْمُقَدِّمَةِ لَهُ لِتَهْيِئَةِ السَّامِعِ لِتَلَقِّي هَذِهِ الْمَوْعِظَةِ لِأَنَّ مَا سَبَقَهُ مِنَ التهويل والإنذار يهيّىء النَّفْسَ لِقَبُولِ الْمَوْعِظَةِ إِذِ الْمَوْعِظَةُ تَكُونُ أَشَدَّ تَغَلْغُلًا فِي الْقلب حِينَئِذٍ لِمَا يَشْعُرُ بِهِ السَّامِعُ مِنِ انْكِسَارِ نَفْسِهِ وَرِقَّةِ قَلْبِهِ فَيَزُولُ عَنْهُ طُغْيَانُ الْمُكَابَرَةِ وَالْعِنَادِ فَخَطَرَ فِي النُّفُوسِ تَرَقُّبُ شَيْءٍ بَعْدَ ذَلِكَ)) .

وَقَوْلُهُ: ((الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ)) أَيْ: مَا غَرَّكَ بِالرَّبِّ الْكَرِيمِ ((الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ)) أَيْ: جَعَلَكَ سَوِياً مُعْتَدِلَ الْقَامَةِ مُنْتَصِبَهَا، فِي أَحْسَنِ الْهَيْئَاتِ وَالْأَشْكَالِ.

وهذا الخطاب ((يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ)) خطابُ تكريمٍ وتشريفٍ والنداء لِلتَّنْبِيهِ تَنْبِيهًا يُشْعِرُ بِالِاهْتِمَامِ بِالْكَلَامِ وَالِاسْتِدْعَاءِ لِسَمَاعِه.

(مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ) أي : ما الذي جعلك تغتر بربك الكريم وتنساه وكيف تغتر بربك الكريم، وهو الكريم ومحض الكرم لا يقتضي إهمال الظالم وتسوية الموالي والمعادي والمطيع والعاصي، وقد جاء بوصف الربوبية إشارة إلى إنعام الرب ، وهذا الخطاب ((يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ)) لجميعِ الكفار والعصاة وهو الصحيح ؛ لأنَّ خصوص السبب لا يقدح في عموم اللفظ.

وَالِاسْتِفْهَامُ مَجَازٌ فِي الْإِنْكَارِ وَالتَّعْجِيبِ مِنَ الْإِشْرَاكِ بِاللَّهِ، أَيْ لَا مُوجِبَ لِلشِّرْكِ وَإِنْكَارِ الْبَعْثِ إِلَّا أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ غُرُورًا غَرَّهُ عن الله كِنَايَةً عَنْ كَوْنِ الشِّرْكِ لَا يَخْطُرُ بِبَالِ الْعَاقِلِ ومعصية الكريم الغني المنعم لا تكون من الفقير المنعم عليه

((مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ)) أي : أدخلك في الغِرة ، وهي أن ترى فعلك القبيح حسناً أو ترى أنه يُعفى عنك لا محالة .

((مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ)) أيُّ شيءٍ خدعك وجرأك على عصيانه .

((ما غرَّك بربك الكريم)) أَي : ما خدعك وسوَّل لك الباطل حتى أضعت ما أوجب عليك .

وَالْغُرُورُ: الْإِطْمَاعُ بِمَا يَتَوَهَّمُهُ الْمَغْرُورُ نَفْعًا وَهُوَ ضُرٌّ، وَفِعْلُهُ قَدْ يُسْنَدُ إِلَى اسْمِ ذَاتِ الْمُطْمَعِ حَقِيقَةً مِثْلَ: وَلا يَغُرَّنَّكُمْ بِاللَّهِ الْغَرُور

((مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ)) خطاب وعتاب يحمِل الإنسان على أنْ يستحي من الله فيكون الحياء وازعاً يردف وازع الخوف والمعرفة بكرم الله ولطفه ورحمته .

وَكَذَلِكَ إِجْرَاءُ وَصْفِ الْكَرِيمِ دُونَ غَيْرِهِ مِنْ صِفَاتِ اللَّهِ لِلتَّذْكِيرِ بِنِعْمَتِهِ عَلَى النَّاسِ وَلُطْفِهِ بِهِمْ فَإِنَّ الْكَرِيمَ حَقِيقٌ بِالشُّكْرِ وَالطَّاعَةِ.

وكذلك فيه التنبيه إلى التخويف من غضب الكريم فإذا فرطت ولم تصل إلى رحمته ولا فزت برضوانه فهلاكك محقق ولا يهلك على الله إلا هالك .

ووصف الرب بالكريم لأجل استدرار توبة الإنسان ليعمل بطاعة ربه الكريم الذي أكرمه وكرّم بني الإنسان ، فالكريم هو السيد المطاع الذي لا ينبغي الاغترار به ولا إهمال حقه .

((الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَك)) وفي هذا الخطاب التذكير بثلاث نعم

١- الخلق

٢- التسوية

٣- التعديل ، وهي نعمٌ عظيمة من أصول النعم تستدعي شكراً واعترافاً ومحبةً وعملاً لأداء شكر المنعم ، وهذه النعم أصولاً وفروعاً من كرم الكريم .

والتسويةُ : خلقُ أجزاءِ الإنسان باستقامة وتناسب لا انحراف فيها ولا قبح في أصل خلقته ، وهذا عام تجده في كل المخلوقات إذ تلاحظ فيها روعة الخلق .

والتعديل المأخوذ من قوله (فَعَدَلَك) وهو دليلُ تخصيص الإنسان بمزيد نعمة ، وهي خلقُهُ في أحسن تقويم في صورة جمال ، وقد قُرأ (فَعَدَّلَك) وكلاهما التخفيف والتشديد بمعنى واحد فإنَّ العدل والتعديل في خلق الإنسان أظهر حيث قامتُه واستقامتُه ومشيُّه على قدميه وقيامُه وقعودُه وتميّز صفتِه وشكلِه عن بقية الحيوان . قال ابن عاشور : ((وَقَرَأَ الْجُمْهُورُ: فَعَدَلَكَ بِتَشْدِيدِ الدَّالِ. وَقَرَأَهُ عَاصِمٌ وَحَمْزَةُ وَالْكِسَائِيُّ وَخَلَفٌ بِتَخْفِيفِ الدَّالِ، وَهُمَا مُتَقَارِبَانِ إِلَّا أَنَّ التَّشْدِيدَ يَدُلُّ عَلَى الْمُبَالَغَةِ فِي الْعَدْلِ، أَيِ التَّسْوِيَةِ فَيُفِيدُ إِتْقَانَ الصُّنْعِ)).

ثم يتكرر الامتنان لعظم النعمة فقال تعالى : ((فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ)) .

((في أيّ صورة ما شاء ركّبك)) إمَّا طويلاً وإمَّا قصيراً وإمَّا حسناً وإمَّا قبيحاً .

أي : فِي صُورَةٍ عَظِيمَةٍ شَاءَهَا مَشِيئَةً مُعَيَّنَةً، أَيْ عَنْ تَدْبِير وَتَقْدِير.

وَقَدْ قَالَ عِكْرِمَةُ فِي قَوْلِهِ: ((فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ)) إِنْ شَاءَ فِي صُورَةِ قِرْدٍ، وَإِنْ شَاءَ فِي صُورَةِ خِنْزِيرٍ. وَكَذَا قَالَ أَبُو صَالِحٍ: إِنْ شَاءَ فِي صُورَةِ كَلْبٍ، وَإِنْ شَاءَ فِي صُورَةِ حِمَارٍ، وَإِنْ شَاءَ فِي صُورَةِ خِنْزِيرٍ.

وَقَالَ قَتَادَةُ: ((فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ)) قَالَ: قَادِرٌ -وَاللَّهِ -رَبُّنَا عَلَى ذَلِكَ. وَمَعْنَى هَذَا الْقَوْلِ عِنْدَ هَؤُلَاءِ كما قال ابن كثير : أَنَّ اللَّهَ، عَزَّ وَجَلَّ، قَادِرٌ عَلَى خَلْقِ النُّطْفَةِ عَلَى شكل قبيح من الحيوانات فربُنا جلَّ جلاله يركّبُ الإنسان في أيّ صورةٍ يَشاؤُها كما قال تعالى : ((هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ)) ومن عظيم الصنع فكلُّ واحد من الناس يختلف عن بقية الناس مع تكاثر البشر فلا تجد اثنين متفقين في كل شيء ، فلكل إنسان

بصمةٌ تختلف وحَدَقةُ عين تختلف ونبرة صوت وعرق جسم فهذه أربع خصائص لا تتشابه عند أحد .

وفي هذا التذكير بهذه النعم في تصوير الشكل يَحمدُ المرءُ ربه أنه لم يجعل على صورة حيوان .

وبعضهم تحدّث عن الجمال من الإنسان من وجه آخر : ((قال بعض السلف : قد يكون الإنسان في صورة الحمار في بلادته أو صورة الخنزير في شرهه أو ضعف غيرته وقد يشبه طائراً أو حيواناً في صفة رديئة يتلبسها وينطبع بها فالجمال أو القبح لا ينحصر في ملامح الشكل وحسن الوجه.

وربما رأيت إنساناً لأول وهلة فيعجبك حسن مظهره وجمال ملامحه,فإذا جالسته وخالطته, نفرت منه ، ولذا يجدر بالباحث عن شريك أنْ يعتني بجمال الروح والعقل والأخلاق , فهو الذي يبقى بعد ذبول الجسد , وهو الذي يشعرك أنك تعيش مع إنسان بمعنى الإنسانية, ولست أمام تمثال من الجمال الجسدي أو الحسي المحض , فالجمال مطلوب , لكن بمعناه الواسع , وهذا داخل في قول النبي صلى الله عليه وسلم : ((إن الله جميل يحب الجمال)) أي مما يقدر عليه الإنسان ويستطيع أن يكتسبه)) .

قال تعالى : ((كَلَّا بَلْ تُكَذِّبُونَ بِالدِّينِ)) .

كلا ردع وزجر عن صنيع الإنسان الذي يكفر نعم ربه ، وفيه الإشارة إلى أنَّ الذي غر الإنسان هو التكذيب بيوم الدين ، وعدم الاستعداد ليوم الرحيل ، والدين بمعنى الدينونة كما تدين تدان أي : كما تعمل تجازى فالدينُ هو الجزاء والحساب والقصاص وهو يكون يوم القيامة ،

والتكذيب بيوم الدين جماع الذنوب كمال قال تعالى : ((وَقَالَ مُوسَى إِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ مِنْ كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ الْحِسَابِ)) فالتكذيبُ بيوم الدين غايةُ التكبر لقيام الأدلة عليه في كل شيء وقال تعالى في شأن المطففين : ((أَلَا يَظُنُّ أُولَئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ ليوم عظيم يوم يقوم الناس لرب العالمين)) .

لذا كان من أعظم الفضل أنْ يُخلص العبد بخالصة ذكرى الدار الآخرة كما قال تعالى : ((وَاذْكُرْ عِبَادَنَا إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ أُولِي الْأَيْدِي وَالْأَبْصَارِ إِنَّا أَخْلَصْنَاهُمْ بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى الدَّارِ وَإِنَّهُمْ عِنْدَنَا لَمِنَ الْمُصْطَفَيْنَ الْأَخْيَارِ)) .

قال ابن كثير : ((أي : بل إنما يحملكم على مواجهة الكريم ومقابلته بالمعاصي تكذيب في قلوبكم بالمعاد والجزاء والحساب)) .

ثم قال تعالى : ((وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ)) .

فقد خلق الله الملائكة والملائكةُ جندٌ من جنود الله تعالى ، كلّفهم الله كثيرًا من الأعمال الجليلة ، والوظائف الكبيرة ، وأعطاهم القدرة على تأديتها على أكمل وجه . وهم بحسب ما هيأهم الله تعالى له ووكلهم به على أقسام :

فمنهم الموكل بالوحي من الله تعالى إلى رسله عليهم الصلاة والسلام وهو جبريل عليه السلام وهو أفضل الملائكة وأكرمهم على الله ، وقد وصفه الله بالقوة والأمانة على تأدية مهمته ، كما تقدم في سورة التكوير .

ومنهم الموكل بالقطر والنبات وهو ميكائيل عليه السلام وقد ورد ذكره في القرآن. قال تعالى: {مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ} وهو ذو مكانه عالية ، ومنزلة رفيعة عند ربه ، ولذا خصّه الله هنا بالذكر مع جبريل ، وعطفهما على الملائكة ، مع أنهما من جنسهم لشرفهما ، من قبيل عطف الخاص على العام . وكذا ورد ذكره في السنة على ما تقدم في دعاء النبي صلى الله عليه وسلم في صلاة الليل أنه يقول : «اللهم رب جبريل وميكائيل وإسرافيل» . .) . ولذا قال العلماء إن هؤلاء الثلاثة المذكورين هم أفضل الملائكة ، وهم أفضل الملائكة لما لهم مع الخلق من دور ؛ لينشط المؤمن في أنْ يكون له دور في إصلاح حال البشر.

ومنهم الموكل بالصُّور والصور: قرن عظيم ينفخ فيه.

ومنهم الموكل بقبض الأرواح وهو ملك الموت قال تعالى: ((قُلْ يَتَوَفَّاكُمْ مَلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ)) .

ولملك الموت أعوان من الملائكة ، يأتون العبد بحسب عمله ، وإن كان محسنًا ففي أحسن هيئة ، وإن كان مسيئًا ففي أشنع هيئة .

قال تعالى: ((حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ)).

ومنهم الموكل بالجبال ، وهو ملك الجبال .

ومنهم الملك الموكل بالرحم على ما دل عليه حديث أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : ((إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ وَكَّلَ بِالرَّحِمِ مَلَكًا ، يَقُولُ : يَا رَبِّ نُطْفَةٌ ، يَا رَبِّ عَلَقَةٌ ، يَا رَبِّ مُضْغَةٌ ، فَإِذَا أَرَادَ أَنْ يَقْضِيَ خَلْقَهُ قَالَ : أَذَكَرٌ أَمْ أُنْثَى ، شَقِيٌّ أَمْ سَعِيدٌ ، فَمَا الرِّزْقُ وَالأَجَلُ ، فَيُكْتَبُ فِي بَطْنِ أُمِّهِ)) .

ومنهم حملة العرش قال تعالى: ((الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا)) .

وقال تعالى: ((وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ))

ومنهم خزنة الجنة. قال تعالى: ((وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ)) . ومنهم خزنة النار وهم الزبانية، ورؤساؤهم تسعة عشر. قال تعالى: ((وَقَالَ الَّذِينَ فِي النَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ادْعُوا رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِنَ الْعَذَابِ)) . ومنهم زوار البيت المعمور: يدخل في كل يوم منهم البيت المعمور سبعون ألف ملك ثم لا يعودون إليه على ما ثبت من حديث مالك بن صعصعة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (. . . ((ثم رفع لي البيت المعمور ، فقلت : يا جبريل ! ما هذا ؟ قال : هذا البيت المعمور . يدخله كل يوم سبعون ألف ملك ، إذا خرجوا منه لم يعودوا فيه آخر ما عليهم)) .

ومنهم ملائكة سيّاحون يتبعون مجالس الذكر فقد روىَ الشيخان من حديث أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : ((إن لله ملائكة يطوفون في الطرق يلتمسون أهل الذكر فإذا وجدوا قومًا يذكرون الله تنادوا هلمّوا إلى حاجتكم قال : فيحفونهم بأجنحتهم إلى السماء الدنيا)) . . .) قال العلماء : وهؤلاء الملائكة زائدون عن الحفظة وغيرهم من المرتبين مع الخلائق .

وقد ثبت أيضًا أنهم يبلغون النبي صلى الله عليه وسلم من أمته السلام لما روى أحمد والنسائي بإسناد صحيح عن عبد الله بن مسعود قال ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((إن لله عز وجل ملائكة سيّاحين في الأرض يُبلّغوني من أمتي السلام)) .

ومنهم الكرام الكاتبون وعملهم كتابة أعمال الخلق وإحصاؤها عليهم . قال تعالى: ((وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ – كِرَامًا كَاتِبِينَ – يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ)) وقال تعالى: ((إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ – مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ)) قال مجاهد في تفسير الآية : ملك عن يمينه وآخر عن يساره فأما الذي عن يمينه فيكتب الخير، وأما الذي عن شماله فيكتب الشر.

ومنهم الموكّلون بفتنة القبر وسؤال العباد في قبورهم . وقد دلت على ذلك الأحاديث الصحيحة .

أخرج الشيخان من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : «إنَّ العبد إذا وضع في قبره وتولّى عنه أصحابه ، وإنَّه ليسمع قرع نعالهم أتاه ملكان ، فيقعدانه فيقولان : ما كنت تقول في هذا الرجل لمحمد صلى الله عليه وسلم فأما المؤمن فيقول : أشهد أنَّه عبد الله ورسوله فيقال له : انظر إلى مقعدك من النَّار قد أبدلك الله به مقعدًا من الجنة فيراهما جميعًا)) .

فهؤلاء هم أشهر من جاءت النصوص بذكر وظائفهم وأسمائهم من الملائكة ممن يتعين على العبد الإيمان بهم والتصديق بمدلولات النصوص في حقهم .

وللإيمان بالملائكة ثمراته العظيمة فمن ذلك:

١ – العلم بعظمة خالقهم عز وجل وكمال قدرته وسلطانه.

٢ – شكر الله تعالى على لطفه وعنايته بعباده حيث وكّل بهم من هؤلاء الملائكة من يقوم بحفظهم وكتابة أعمالهم وغير ذلك مما تتحقق به مصالحهم في الدنيا والآخرة.

٣ – محبة الملائكة على ما هداهم الله إليه من تحقيق عبادة الله على الوجه الأكمل ونصرتهم للمؤمنين واستغفارهم لهم .

ونحو ما جاء في سورة الدرس جاء قوله تعالى : ((لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ وَمَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وال)) .

ومتدبرُ القرآنِ يلحظ الألفاظ جيداً فقوله : ((وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ)) فـ (عَلَيْكُمْ) لفظ يدل على الاستعلاء ، أي : فهم فوقكم ومكانتهم منكم مكانة السلطان والرقيب فالملائكة لهم تسلّط وفوقية على البشر ؛ لأنَّهم مبعوثون من الله عز وجل ، وكلما قرأتَ في هذه الآية تفكر في (عَلَيْكُمْ) أي : فهم مسؤولون عنكم ومسلطون على أعمالكم وأقوالكم وخواطركم التي يطلعهم الله عليها ، وهم مسؤولون عن كتابتها وتدوينها حجةً لله على العباد . فالملائكةُ الموكلون وصفهم الله بأربعة أوصاف :

أولاً : الحفظ ، قال تعالى : ((وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُمْ بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُمْ بِالنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضَى أَجَلٌ مُسَمًّى ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ ثُمَّ يُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ ثُمَّ رُدُّوا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمُ الْحَقِّ أَلَا لَهُ الْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ الْحَاسِبِينَ)) .

وقال تعالى : ((وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ النَّجْمُ الثَّاقِبُ إِنْ كُلُّ نَفْسٍ لَمَّا عَلَيْهَا حَافِظ)) .

فالملائكةُ حفظةٌ جمع حافظ ، وحافظون ما يصدر من البشر من أعمال يحاسب عليها من الأفعال والأقوال والتروكات والنيّات يحفظونه عندهم في كتاب .

ثانياً : الكرم فهم كرام عند الله كرام عند البشر ، وهم عباد مكرمون أرسلهم وكلّفهم ربٌ كريم على مخلوق كرّمه الله لو استقام لكان كريماً عند الله .

ثالثاً : الكتابة فهم كتبة كاتبون يكتبون كل شيء ، وهذا من مفردات معنى الحفظ لينال كل امرئ عمله (جَزَاءً وِفَاقًا) فالعقاب الذي ذكر الله منه صوراً في كتابه هو جزاءٌ موافقٌ لأعمالهم فهو جزاءٌ عادلٌ موافقٌ لما يستحقونه على ما فرّطوا وقصّروا في الحياة الدنيا ، وعلى ما عبُّوا من الشهوات والسيئات ، وهذا الجزاء الوفاق يعترف به أهل النّار قال تعالى (فَاعْتَرَفُوا بِذَنْبِهِمْ فَسُحْقًا لِأَصْحَابِ السَّعِيرِ) فـ(جَزَاءً وِفَاقًا) وَالتَّقْدِيرُ جَزَاءً وَافَقَ أَعْمَالَهُمْ وِفاقاً، والتسجيل والحفظ كي لا

يجادل المرء ولا ينكر فكل شيء مكتوب ، قال تعالى : ((وَكُلَّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنْشُورًا اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا)) .

رابعاً : يعلمون أفعال العباد ، قال تعالى : ((يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُون)) فالملائكة خلقهم الله خلقاً عظيماً مكنّهم من العلم بأعمال العباد ؛ ليسجلوها تسجيلاً تامّاً قلباً وقالباً ؛ إذ إن أعمال القلوب أصل أعمال الجوارح مثل : الإيمان والرجاء والحب والخوف والإخلاص والخشية .

ومعاصي القلب أصل معاصي الجوارح مثل الشك والشبهة والحسد والكبر والغرور والعجب والحقد . لذا قال تعالى : ((وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي الزُّبُرِ وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُسْتَطَر))

وقال قال العلماء إِنَّهُ يُنْتَزَعُ مِنْ هَذِهِ الْآيَةِ أَنَّ هَذِهِ الصِّفَاتِ الْأَرْبَعَ هِيَ عِمَادُ الصِّفَاتِ الْمَشْرُوطَةِ فِي كُلِّ مَنْ يَقُومُ بِعَمَلٍ لِلْأُمَّةِ فِي الْإِسْلَامِ مِنَ الْوُلَاةِ وَغَيْرِهِمْ فَإِنَّهُمْ حَافِظُونَ لِمَصَالِحِ مَا اسْتُحْفِظُوا عِلْيَهِ وَأَوَّلُ الْحِفْظِ الْأَمَانَةُ وَعَدَمُ التَّفْرِيطِ.

فَلَا بُدَّ فِيهِمْ مِنَ الْكَرم ، وَهُوَ زكاء الْفِطْرَةِ ، أَيْ طَهَارَةُ النَّفْسِ .

وَمِنَ الضَّبْطِ فِيمَا يَجْرِي عَلَى يَدَيْهِ بِحَيْثُ لَا تَضِيعُ الْمَصَالِحُ الْعَامَّةُ وَلَا الْخَاصَّةُ بِأَنْ يَكُونَ مَا يُصْدِرُهُ مَكْتُوبًا ، أَوْ كَالْمَكْتُوبِ مَضْبُوطًا لَا يُسْتَطَاعُ تَغْيِيرُهُ ، وَيُمْكِنُ لِكُلِّ مَنْ يَقُومُ بِذَلِكَ الْعَمَلِ بَعْدَ الْقَائِمِ بِهِ ، أَوْ فِي مَغِيبِهِ أَنْ يُعْرَفَ مَاذَا أُجْرِي فِيهِ مِنَ الْإِعْمَالِ ، وَهَذَا أَصْلٌ عَظِيمٌ فِي وَضْعِ الْمَلَفَّاتِ لِلنَّوَازِلِ وَالتَّرَاتِيبِ ، وَمِنْهُ نَشَأَتْ دَوَاوِينُ الْقُضَاةِ ، وَدَفَاتِرُ الشُّهُودِ ، وَإِخْرَاجُ نُسَخِ الْأَحْكَامِ وَالْأَحْبَاسِ وَعُقُودِ النِّكَاحِ .

وَمِنْ إِحَاطَةِ الْعِلْمِ بِمَا يَتَعَلَّقُ بِالْأَحْوَالِ الَّتِي تُسْنَدُ إِلَى الْمُؤْتَمَنِ عَلَيْهَا بِحَيْثُ لَا يَسْتَطِيعُ أحد من المخالطين لوظيفه أَنْ يُمَوِّهَ عَلَيْهِ شَيْئًا، أَوْ أَنْ يَلْبِسَ عَلَيْهِ حَقِيقَةً بِحَيْثُ يَنْتَفِي عَنْهُ الْغَلَطُ وَالْخَطَأُ فِي تَمْيِيزِ الْأُمُورِ بِأَقْصَى مَا يُمْكِنُ ، وَيَخْتَلِفُ الْعِلْمُ الْمَطْلُوبُ بِاخْتِلَافِ الْأَعْمَالِ فَيُقَدَّمُ فِي كُلِّ وِلَايَةٍ مَنْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَا تَقْتَضِيهِ وِلَايَتُهُ مِنَ الْأَعْمَالِ وَمَا تَتَوَقَّفُ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوَاهِبِ وَالدِّرَايَةِ ، فَلَيْسَ مَا يُشْتَرَطُ فِي الْقَاضِي يُشْتَرَطُ فِي أَمِيرِ الْجَيْشِ مَثَلًا ، وَبِمِقْدَارِ التَّفَاوُتِ فِي الْخِصَالِ الَّتِي تَقْتَضِيهَا إِحْدَى الْوَلَايَاتِ يَكُونُ تَرْجِيحُ مَنْ تُسْنَدُ إِلَيْهِ الْوَلَايَةُ عَلَى غَيْرِهِ حِرْصًا عَلَى حِفْظِ مَصَالِحِ الْأُمَّةِ ، فَيُقَدَّمُ فِي كُلِّ وِلَايَةٍ مَنْ هُوَ أَقْوَى كَفَاءَةً لِإِتْقَانِ أَعْمَالِهَا وَأَشَدُّ اضطلاعاً بممارستها)).

ولما ذكر حال الأعمال بين الله حال العباد يوم الحساب فقال تعالى : ((إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ)) .
قال البقاعي : ((ولما كانت نتيجة حفظ الأعمال الجزاء عليها، أنتج ذلك بيان ما كانت الكتابة لأجله تفريقاً بين المحسن والمسيء الذي لا يصح في حكمة حكيم ولا كرم كريم غيره)) انتهى كلامه رحمه الله

فيُخْبِرُ تَعَالَى عَمَّا يَصِيرُ الْأَبْرَارُ إِلَيْهِ مِنَ النَّعِيمِ ، وَهُمُ الَّذِينَ أَطَاعُوا اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ ، وَلَمْ يُقَابِلُوهُ بِالْمَعَاصِي ، وهم الذين لا يُؤذون أحداً ، وهم الذين برّوا الآباء والأبناء .

والأبرار جمع بر والبر من يفعل البر أي الطاعة ، وذلك بوجود العقيدة الصحيحة التي هي الأساس فتنبثق عنها الأعمال ، قال تعالى : ((لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ)) .

وَإِنَّمَا سُمِّيَ التَّقِيُّ بَرًّا لِأَنَّهُ بَرَّ رَبَّهُ، أَيْ صَدَّقَهُ وَوَفَّى لَهُ بِمَا عَهِدَ لَهُ مِنَ الْأَمْرِ بِالتَّقْوَى.

وَالنَّعِيمُ : اسْمُ مَا يَنْعَمُ بِهِ الْإِنْسَانُ.والنعيم الذي ذكره الله بقوله : ((إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ)) نعيمُ الدنيا والآخرة ففي الدنيا طمأنينة النفس وانشراح الصدر والبهجة والسرور وقرّة العين والرضا والأنس بالله ، وهو موصول بالبرزخ ، وتمام النعيم يوم القيامة كما قال تعالى : ((كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَنْ زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ)) .

وَالظَّرْفِيَّةُ مِنْ قَوْلِهِ : (فِي نَعِيمٍ) مَجَازِيَّةٌ لِأَنَّ النَّعِيمَ أَمْرٌ اعْتِبَارِيٌّ لَا يَكُونُ ظَرْفًا حَقِيقَةً ، شُبِّهَ دَوَامُ التَّنَعُّمِ لَهُمْ بِإِحَاطَةِ الظَّرْفِ بِالْمَظْرُوفِ بِحَيْثُ لَا يُفَارِقُهُ .

وَأَمَّا ظَرْفِيَّةُ قَوْلِهِ: لَفِي جَحِيمٍ فَهِيَ حَقِيقِيَّةٌ .

ثم قال تعالى ((وإن الفجار لفي جحيم)) فلما ذكر ربنا حال الأبرار ذكر الله حال الفجار وهذا شان القرآن فهو كتابٌ مثاني ، والفجّار هم أهل الفجور الذين فجروا عن أمر الله ، أي : انشقوا عنه وخالفوه ، وهم الذين لم توجد فيهم صفات الأبرار ، وقد بيّنهم الله تعالى بقوله ((كَلَّا

إِنَّ كِتَابَ الْفُجَّارِ لَفِي سِجِّينٍ وَمَا أَدْرَاكَ مَا سِجِّينٌ كِتَابٌ مَرْقُومٌ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ الَّذِينَ يُكَذِّبُونَ بِيَوْمِ الدِّينِ))

ثم قال تعالى عن حال الفجار ((يصلونها يوم الدين)) فهم يصلون جهنم أي يدخلونها ثم يصلون فيها ، وهو من الصلي أي : الشوي فتمام العذاب بالنار كياً وشيّاً .

فلما كان السياق للترهيب ، وصف عذاب الفجار فقال : {يصلونها} أي يغمسون فيها كالشاة المصلية فيباشرون حرها {يوم الدين } أي : يوم الجزاء على الأعمال المضبوطة على مثاقيل الذر.

ثم بيّن تعالى أنَّهم حينما يدخلون النار لا يخرجون منها ، وقال تعالى ((وما هم عنها بغائبين)) فهذه جملة اسمية تفيد الثبات واللزوم فهم عنها لا يغيبون ، عن النار لا يغيبون أبدا بل يلازمونها ملازمة دائمة والباء في قوله بغائبين للتاكيد ، وقدّم الجار والمجرور للاهتمام بالمصير الذي يصيرون اليه ، وهو النَّار فأهل النار لا يرفع عنهم العذاب ولا لحظة واحدة كما قال تعالى : ((وَقَالَ الَّذِينَ فِي النَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ادْعُوا رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِنَ الْعَذَابِ قَالُوا أَوَلَمْ تَكُ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا بَلَى قَالُوا فَادْعُوا وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ)) .

وقال تعالى : ((وَنَادَوْا يَامَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُمْ مَاكِثُونَ)) وقارئ القرآن لا تغيب عنه الألفاظ ففي قوله : (بغائبين) اشارةٌ إلى الذين يحضرون عند الطمع ويغيبون عند الفزع يحضرون عند الشهوة ويغيبون عند الطاعة يحضرون عند المتاع ويغيبون عند الانفاق يحضرون عند الهزل ويغيبون عند الجد يحضرون عند مجالس اللغو ويغيبون عند مجالس الذكر والإيمان وقوله تعالى ((وما هم عنها بغائبين)) كقوله تعالى : ((يُرِيدُونَ أَنْ يَخْرُجُوا مِنَ النَّارِ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنْهَا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُقِيمٌ)) وكذلك قوله تعالى : ((وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّءُوا مِنَّا كَذَلِكَ يُرِيهِمُ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ)) .

((وَمَا هُمْ عَنْهَا بِغَائِبِينَ)) أَيْ : لَا يَغِيبُونَ عَنِ الْعَذَابِ سَاعَةً وَاحِدَةً ، وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِهَا أبداً ، وَلَا يُجَابُونَ إِلَى مَا يَسْأَلُونَ مِنَ الْمَوْتِ أَوِ الرَّاحَةِ ، وَلَوْ يَوْمًا وَاحِدًا .

ثم قال تعالى مبيناً يوم الدين الذي يصلى فيه الكفار النار : ((وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ ثُمَّ مَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ)) ويوم الدين اسم من أسماء يوم القيامة عظّمه الله وحذّر عباده ثم في التكرار

تحذير وتاكيد ثم قال تعالى : ((وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ)) اي مهما تخيلت شدة يوم الدين فإنك لن تبلغ كنهه لكنَّ الله بيّن لنا صورة من صوره فقال : ((يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئًا وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ)) فلا تستطيع نفس أنْ تملك لنفس أيَّ شئ ، بل إنَّ الأمر كله لله .

قال البقاعي : ((ولما علّم أنَّ الوعيد الأعظم يوم الدين ، هوّل أمره بالسؤال عنه إعلاماً بأنه أهل لأنْ يُصرفَ العمرُ إلى الاعتناء بأمره والسؤال عن حقيقة حاله سؤالَ إيمان وإذعان لا سؤال كفران وطغيان ، ليكون أقعد في الوعيد به فقال : {وما أدراك} أيُّ أعلمك وإن اجتهدت في طلب الدراية به {ما يوم الدين } أي أيّ شيء هو في طوله وأهواله وفظاعته وزلزاله. ولما كانت أهواله زائدة على الحد ، كرّر ذلك السؤال لذلك الحال فقال معبراً بأداة التراخي زيادة في التهويل: {ثم ما أدراك} أي كذلك {ما يوم الدين *} .

ولما بيّن أنه من العظمة بحيث لا تدركه دراية دارٍ وإن عظم وإن اجتهد ، لخص أمره في شرح ما يحتمله العقول منه على سبيل الإجمال)) .

((يوم لا تملك نفس لنفس شيئاً)) لا تملك أن تُنجيها من العذاب ((والأمر يومئذٍ لله)) وحده لم يملك أحدٌ أمراً في ذلك اليوم كما ملك في الدُّنيا .

وَفِي سير القوم : أَن سُلَيْمَان بن عبد الْملك حج ، فلقي أَبَا حَازِم سَلمَة بن دِينَار فَقَالَ : يَا أَبَا حَازِم ، كَيفَ الْقدوم على الله ؟ فَقَالَ : أمَّا المحسنون فكالغائب يقدم على أَهله ، وَأما الْمُسِيء فكالعبد الْآبِق يرد إِلَى سَيّده ، فَبكى سُلَيْمَان ، ثمَّ قَالَ : لَيْت شعري نعلم مَا حَالنَا عِنْد الله ؟ فَقَالَ أَبُو حَازِم : اعرضها على كتاب الله تَعَالَى ، فَقَالَ : وعَلى أَي ذَلِك أعرض ؟ فَقَالَ على قَوْله تَعَالَى : {إِن الْأَبْرَار لفي نعيم وَإِن الْفجار لفي جحيم} قَالَ سُلَيْمَان: فَأَيْنَ رَحْمَة الله ؟ قَالَ: قريب من الْمُحْسِنِينَ .

تمت السورة ، ونذكر بمقاصدها :

(١) وصف بعض أهوال يوم القيامة .

(٢) تقصير الإنسان فى مقابلة الإحسان بالشكران .

(٣) بيان أنَّ أعمال الإنسان موكل بها كرام كاتبون .

(٤) بيان أنَّ الناس فى هذا اليوم : إما بررة منعمون ، وإما فجرة معذبون .

٥- التحذير من السنة السيئة يتركها المرء بعده فإنَّ أوزارها تكتب عليه ، وهو في قبره .

٦- التحذير من الغرور والانخداع بعامل الشيطان من الإنس والجن .

٧- التحذير من التكذيب بالبعث والجزاء فإنَّه أكبر عامل من عوامل الشر والفساد في الدنيا وأكبر موجب للعذاب يوم القيامة .

٨-تقرير عقيدة كتابة الأعمال حسنِها وسيئِها ، والحساب بمقتضاها يوم القيامة بواسطة ملكين كريمين على كل إنسان مكلّف لحديث الصحيح : (يتعاقب فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار) ....الحديث .

٩- بيان حكم الله في أهل الموقف ؛ إذ هم ما بين بارٍّ صادق فهو في نعيم وفاجر كافر فهو في جحيم .

١٠- بيان عظم شأن يوم الدين ، وأنَّه يومٌ عظيم .

١١- بيان أنَّ النَّاس في يوم الدين لا تنفعهم شفاعة ولا خلة ؛ إذ لا يشفع أحدٌ إلا بإذن الله ، والكافرون هم الظالمون ، وما للظالمين من حميم ولا شفيع يطاع .

١٢- إبطال مقولة من قال : ((أرحامٌ تدفع وأرضٌ تبلع ومن مات فات وصار إلى الرفات ولا عود بعد الفوات)) .